

تفسير أبي السعود

سورة هود 5 .

العذاب وهو تقرير لما سلف من كبر اليوم وتعليل للخوف ولما ألقى إليهم فحوى الكتاب على لسان النبي A وسبق إليهم ما ينبغي أن يساق من الترغيب والترهيب وقع في ذهن السامع أنهم بعد ما سمعوا مثل هذا المقال الذي تخر له صم الجبال هل قابلوه بالإقبال أم تمادوا فيما كانوا عليه من الإعراض والضلال فقل مصدرًا بكلمة التنبيه إشعارًا بأن ما يعقبها من هنتهم أمر يجب أن يفهم ويتعجب منه .

ألا إنهم يثنون صدورهم يزورون عن الحق وينحرفون عنه أي يستمرون على ما كانوا عليه من التولي والإعراض لأن من أعرض عن شيء ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه وهذا معنى جزل مناسب لما سبق وقد نحا نحوه العلامة الزمخشري ولكن حيث لم يصلح التولي سببًا للاستخفاء في قوله D . ليستخفوا منه التجأ إلى إضمار الإرادة حيث قال ويريدون ليستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله والمؤمنين على إعراضهم وجعله في قود المعنى إليه من قبيل الإضمار في قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق أي فضرِب فانفلق ولا يخفى أن انسياق الذهن إلى توسط الإرادة بين ثني الصدور وبين الاستخفاء ليس كانسياقه إلى توسط الضرب بين الأمر به وبين الانفلاق ولعل الأظهر أن معناه يعطفون صدورهم على ما فيها من الكفر والإعراض عن الحق وعداوة النبي A بحيث يكون ذلك مخفيا مستورا فيها كما تعطف الثياب على ما فيها من الأشياء المستورة وإنما لم يذكر ذلك استهجانًا بذكره أو إيماء إلى أن ظهوره مغن عن ذكره أو ليذهب ذهن السامع إلى كل ما لا خير فيه من الأمور المذكورة فيدخل فيه ما ذكر من توليهم عن الحق الذي ألقى إليهم دخولا أوليا فحينئذ يظهر وجه كون ذلك سببًا للاستخفاء ويؤيده ما روى عن ابن عباس B أنها نزلت في الأخنس بن شريق وكان رجلا حلو المنطق حسن السياق للحديث يظهر لرسول الله A المحبة ويضمّر في قلبه ما يضادها وقال ابن شداد إنها نزلت في بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله A ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كيلا يراه النبي A فكأنه إنما كان يصنع ما يصنع لأنه لو رآه النبي A لم يمكنه التخلف عن حضور مجلسه والمصاحبة معه وربما يؤدي ذلك إلى ظهور ما في قلبه من الكفر والنفاق وقرئ يثنونني صدورهم بالياء والتاء من اثنونني أفعول من الثنى كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة وعن ابن عباس يريد وضعف الكلاً من هش ما وهو الثن من تفعول من تثنونن وأصله تثنون وقرئ لتثنونني هما B مطاوعة صدورهم للثني كما يثني الهش من النبات أو أراد ضعف إيمانهم ورخاوة قلوبهم وقرئ تثنن من اثنان أفعال منه ثم همز كما قيل ابيأضت وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوى .

ألا حين يستغشون ثيابهم أي يغطون بها للاستخفاء على ما نقل عن ابن شداد أو حين يأوون إلى فراشهم ويتدثرون بثيابهم فإن ما يقع حينئذ حديث النفس عادة وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحي ظهره